

ناصر قنديل

بالصباحات العطرة يبدأ حديث الجمعة كالمعتاد، ثم ننتقل إلى الحُبِّ ومآلاته، وشؤونه وشجونه، في «قالت له»، وعبر مشاركتين جميلتين من سحر عبد الخالق ورائيا الصوص. وقبل الرياضيات وتأثيرها في الكلام عندما تبدلَّ الأمكنة والحروف، تطلعا رشا مارديني بدعوى أمام القاضي، تُرفع في وجه كل من كان سبباً في ما آلت إليه أمور سورية الحبيبة.

صباحات

الصباحات التي هي على عدد أيام الأسبوع، متنوّعة في الفحوى والمقصود. فمن سيّد المقاومة الذي يجب أن يُعتصَم بحبله ويؤخذ بكلامه، إلى الشام وياسمينها الفواح، وقاسيونها الصّدّاح، والشهيد النبيل، والرحم الأنبل، إلى إيران صانعة القرار، وإلى النصر الذي لا مفرّ منه.

2015/7/10

قال الصباح: من أطلّت شمسُه عصر أمس، والناس صيام، خبر مَن تطلّ شمسُه صباح اليوم والناس نيام. فبين عينه لمن تأمل وفتح الله قلبه وزالت غشاوة البصر والبصير عن ناظره، تمرّك الحق وركنت الحقيقة. وما همّنا من كل دين ودنيا إلاّ الحق. وما أبعدنا إلاّ الحلق بمتاع الدنيا في صورة الآخرة... وما هم الراكضون وراء الغلمان وحور العين وأنهار اللبن والعسل قنّلة الشوارع وأكلو القلوب الحية... «ابحثوا عن الله في الحق تجدون الحقيقة...» من يشيه في دعواته وأفعاله فطرة الناس البسطاء ... ينلق بلسانهم ويهذئ روعهم... وجوده سكينتهم، إطلالته نصرهم، سبابته سيوفهم المسلوّة، وحجرته رعد السماء وبريق عينه مطر وبرق وشتاء... لا تنموها في بحور البحث وهو أمامكم، ولا في وعود آخرة يختلف حولها المبشرون... أمسكو به من دنياكم يقودكم إلى دينكم. وبه تترسملون للآخرة... وإن أردتم البحث بالعكس، لوجدتم أنفسكم في حضيّ «داعش» أو «البليس»... قد يصعب الدين وتتوه الآخرة في متاهات علم الكلام. ولكن هل يمكن أن يضع الحق عليكم... فلسطين أليست حلّقا؟ الانتصار لسورية واليمن وقاتل الإرهاب، اليس كل ذلك حقاً بحق؟ فإن أحسستم بالآمان والسكينة للقيام، تساءلوا ماذا تريدون من دينكم إلاّ الحق؟ فإن أردتم أكثر فانتّم طامعون من أهل الشهوات الصغيرة، لا يشبعكم إلاّ الذهب أو المجد وأدعاء العظمة والشهرة أو الشهوة، ونهر لبّين وغلمان وحوار وجوار، وتلك استعارات لا مكان لها في الدين إلاّ للتشبيه. فقد تهتمّ وضللتم الطريق ومكانكم عند فرعون لو كان اسمه دين أو إمامة أو نبوة أو زهد وصيام وصلاة. فيحتمك عن أنفسكم لانفسمك لاحق ولا حقيقة. «دنيا الحاضر هي دين الماضي وآخرة المستقبل. فمن لدنيا الحاضر بالحق هو الحقيقة...» إنه شمس أطلت قبل غروب أمس فكان الصباح... صباحك خير ونور يا سيّد المقاومة!

بين الياسمين ودوّار الشمس

قال الصباح: الياسمين يعيش الكرامة لا الغرور، لأنه إذا حبّ بنحني. لكنه لا ينحني إلاّ لجهة واحدة، لا كدوّار الشمس رأسه مرفوعة بفرور لكنه يدور حول نفسه في ألف اتجاه. بينما عطر الياسمين فيوح في كل اتجاه. ودوّار الشمس لون بلا عطر والمطر عطاء واللون بهاء. والياسمين لا يفرح كثيراً بما يريح وما يخسر، وما هو المستقبل، ومتى يذبل كلما ياح بعطره. ودوّار الشمس يعيش قلق الحسابات في كل حين، وحسب مواسم زيته ولمن ستكون. ولا يخلخ الياسمين بحجمه الضئيل، لا يفرح بعطره الوافر. ولا يضيق صدره لأنه بلا ألوان، بل يتمايل راقصاً ببياضه. بينما دوار الشمس يتباهي بألوانه وحجم أوراقه وأغصانه. ويخشى الليل لأنه يفقده رونق الدوران وبوصلة التوازن، ويشعره بالتعب فينام. وبينما الياسمين يفتتح للفرح، يكون دوار الشمس نائماً حتى يسبط النور بعد ساعات... إن سالتهم الفقراء ماذا يفضلون، سيقولون بلا استثناء: عشقنا الياسمين. وإن سالتهم رجال الأعمال سيقولون بلا استثناء: يحيا دوّار الشمس... دّول كثيرة هي لدوّار الشمس، وقليلة هي دول الياسمين... ويشتر كثيرون دوار شمس، وقليلون هم البشر الياسمين.

صباح الشام!

قال الصباح: من الشعر عطر يغير الياسمين لا يذوع... والياسمين لمن يجهلون عطر الضلوع... منه آدم منه حوّاء منه مريم ومنه محمد ومنه يسوع... منه مسحة الشفاء للأعمى ومنه تعلم الصبح الطلوع... كلمات حبّ لشام الياسمين... نهر حنان وبران شموع... غداً سيطل النهار الجديد وتكتب للشهداء حبراً وحبّاً وماء... ونهراً ويعود بردي أحلا، سحراً تجلي. وتعود لقاسيون مهابة الله يوم على العرش استوى... وأيامنا السبعة نعدّها حتى ساعة الخلاص شعراً ونثراً وهوى!

المولود الجديد....

قال الصباح:«إيرانيوم»، مولود جديد هو المعادلة التي ستحكم الشرق الأوسط وترجمته القرار المستقل والإرادة الصلبة والعزيمة التي لا تلين. والنفقة أنك لست أقل شأناً من الآخرين. وأنك واثق من النصر الميبن. أنك أخلصت ليبارك لا تهون ولا تلين. وأن لا إغواء ولا إغراء ولا مسامحة ولا إطراء تحيد بك عن اليقين. واليقين أن الله خلقنا أحراراً فلماذا يستسلم بعضنا العبودية وأن المسلمين ساطعة لنا بالناشواي فلماذا تكون السيادة بيننا بالمرطل والأوقية. وأن من أصابهم الخنوع والتنبعية وفقدوا الإرادة والعقول السوية، حتى لو عرفوا بجمال نطقهم فيبقى مالمهم ذليلاً ويبقى غيرهم كريماً عزيزاً، بمل قليل. فاللغني كالفقر كالكهزيمة والنصر يبدأ جميعاً في العقول والنفوس ولا يقاس العلم بكيس الفلوس والإفاسألو السعوديه كم من ساعة يضضى الاميري يطلب التفاهم، وكم من وفد جاء والتفاهم، لأنهم قالوا مرّة أنهم لن يعطوا عطاء الذليل، ولماذا يرضخ العالم لجارهم اللقّتي في ثورته، والقليل قياساً بهم في ثورته، ولماذا يتجاهلهم وهم يندبون حظهم ويظلمون القدر لمجرد سماع الخبر، أن «إيرانيوم» صار مولودا كاملا يحظى بشهادة الميلاد. وأنه دعوى تنتقل في العالم مع الاعباد فيصرخ الأحرار... نعم نستطيع... في كل زمان ومكان... والوقوع لدليل على الإمكان.

البناء

حديث الجمعة



قالت له

. قالت له: كيف تغار عليّ وتقول إنني لم أعد حبيبتك ولم تعد حبيبي،

والغيرة موصولة بالحبّ وصل الجنين برحم أمه؟

فقال: لأنني أدافع عن ذكرياتي الجميلة وعن بضعة من عمري أودعتها عندك. فقالت: وهل يخوّلُك هذا أن تجعل باقي عمري الذي أقفلته عن بوابات وصال حبّك الموصدة في وجهي عذاباً و قهراً وليلاً موحشاً بلا رفقة، وتصرّ على أن تبقى لصيقاً بي كظلّ لا يفارقني يشبعني جميل الكلام ويتباهى أن قلبه في مكانٍ آخر؟ فقال لها: أنا لا أمنعك ولا أحول بينك وبين حبّ جديد. ولا أدعي حبّاً جديداً، إنما التزاماً فيه حنان ورفقة عمر.

فقالت: أتمنى لو تسمعني جيداً هذه المرة؟. فأنت تدافع عن حبّك للتمكّ، وعن غرور «الأنا» التي تسكن بين ضلوعك، ولا تريد أن ترى شيئاً كان يوماً ملكك وقد صار لغيرك. و تنتقي لصيقاً بي كظلّ لا يفارقني يشبعني جميل الكلام وأنا هدمت العرش وكسرت الصولجان. وما عاد عندي من خيار إلاّ أن تكون واحداً من اثنين، إما شخصاً لطيفاً، حتى لو طيف وذكرى واعتبار، أو حبيباً لا يشاركني فيه ظلّ انتظار. ولك القرار.

فقال: هزمني الحبّ مرّتين... مرّة عندما التقينا، وما هي الثانية. ونحن نفترق، وكابترت وتعاليت، وتخيّلت وتأمّلت، لكنها خيبة من لا يحافظ على ما يملك.

فقالت: تتنمّ بعرشك يا ملك... ومضت.

. قالت له: الحبّ يطفو كنور في أرواحنا، فهل تراني أضيء ليلك كما

تضيء ليلى؟

فقال: ولمّا تبرق عيناك يطلع نهاري، ولا جلك أغيرَ مساري، ولا بتسامة الصبح من شفقتك كم ألعيت أسفاري.

فقالت: والكتاب الذي بين يديك؟

فقال: لأقرا لك عندما يبعد النعاس عن عينيك، وأسهر حتى يغفو النوم

في جفنتك. فقالت: والقلم؟

قال: لأخط لك كحلاً عريباً لا يدانيه ما تصنعه كلّ وصفات السحر وتعيّذات الكهنة، يمنحك سلطاناً لا يحتاج إلى صولجان فيضبّك ملكة بلا استنّذّان. فقد صنعت لك من كل مواهبي في الشعر والرسم والموسيقى كرسياً ملكياً لا يراه الناس، لكنهم يشعرون جلوسك عليه، ومن نبرة صوتك سيرفون وجودي ويقفون عند حدودي.

فقال: وإن أحتاجك وأشعر بالسقم لغياك؟

فقال لها: لا يغيب عن عينيك لطيفي ولا عن شتاتك صيفي، ولن تضيعي. فلكما شممت زهرة تعرفين أنه ربيعي.؟ وكلما سمعت قصيدة غزل جديدة أو كتبت لك عاشق قصيدة، أو رأيت حلماً عن سيّد وعبيده، أو رأيت أنك من القديسين أو بين الملائكة تسبحين، ستعرفين في نهاية الطريق كيف يتعلّق الغريق وكيف يخلّطُ الغريق، وتعرفين أنني قد مت منذ زمن. إن ما تبقى مني روح عنيدة، تنتظر رحيلاً بلا هدف إلى حيث ترميني الصدف، وعندننّ ستعرفين أن الحبّ فرح، وعندننّ ستعرفين أن الله فرح، وعندننّ ستعرفين أن الموت قادر أحياناً على صنّاعة الفرح.

فقالت: وهل ستموت وتتركني؟

فقال: أنا أحدثك من موتي، ولو أنك تسمعين صوتي.

ففتحت عينيهَا وغادرت اللحم.

رياضيات في الكلام

كي لا تستعجلوا الأحكام على مكانة الأشخاص في حياتكم، تخيّلوها من دونهم تعرفون من بيكيكم غيابه أكثر، ومن تتغيّر وجهتها من دونه أكثر. لأننا. غالباً. نضع الذين نثقُ ببقائهم معنا جانبا، وننصرّف على أنهم باقون. فلا ننتبه إلاّ للذين يدخلون ويخرجون... تفكروا بمكانة سيّد المقاومة من هذه الزاوية، تتوقّفون عن البحث عن السكينة، لأنه مصدرها الذي لا ينضب ولا يبخل.

ذكرى بلا تاريخ

وارتعشت الذكريات في أعماق القلب الجريح، قلبها... برد الأيام الآتية يخفيها، وعمته اللبالي الحالكة. ضجيج الصمت يخترق سكّون الليل... ضياء الغرّيأ ينساب لآكي، تغفو في حضيّ زهرات الياسمين البيضاء، وكان النسيم يرتشف العطر. ويداعب تلك النظرات التائهة، في عينيهَا الحزينتين... حيث طيفه وذاك الضنين! لكنه حينئّ بلا موطن! أين؟ بحثت عنه، عن الدفء، عن الأمان، عن بقايا حبّ بلا إنسان... شاء الزمان أن يكونا بلا عنوان. أوما، فرحت، خطفت من الدنيا بعضاً من الأحلام. علمتها الحياة ألاّ تمان أيّا كان، وأنّ العدر طبعٌ في من يرتدون هيكل الإنسان. لكنها وذاك الطيف، يعبران الحياة، من عمق الآلام!

سحر عبد الخالق

الغد الجميل

قالت له: اليك ما حدث. حملنا السلّة معاً نملؤها ما استطعنا حبّاً ممزوجاً بوجع الحياة. عرفنا أن النهاية تليها بداية... ذلك قانون الدوران. اعتدنا على الأشياء. وجبّنا قطعة ممزّقة من السماء. كل ما فيك يذكرني بدمشق، وتغرق عينايا ببحر بيروت. سعبينا طويلاً. الآن نحن فقط على طرفي سلة. قال لها: لا تقولي أن شيئاً قد انقضى. كل لحظة هي بداية من جديد. ملح البحر لا يفقده الجمال،

والحياة تقاسم ليل ونهار. قد تصرخ أحياناً من أعماق الظلام ضد بشاعة الروتين.

قالت: ماذا فعلت حين تستشهد الكلمات، وتعاد الاحداث دونما أمل بشعاع تغيير؟ قال لها: لو فكر الجميع هكذا ستتلاشى الأزمنة. أما سمعت عن عصفور الشرق الذي عاد بغصن الانتصار بعد سنوات الانتظار. الحياة ساحة وغي لا يخسر فيها حربُه العقيدة محارب حقيقي. فلا تبقى طويلاً في مستنقع الماضي تسبحين. تعالي، امسكي يديّ جيداً. فالغد مثلك جميل الي أبعد الحدود. والوحيد في هذه الحياة لا وجود له.

رائيا الصوص



رشا مارديني